قصص الأطفال بين الواقع والمثال

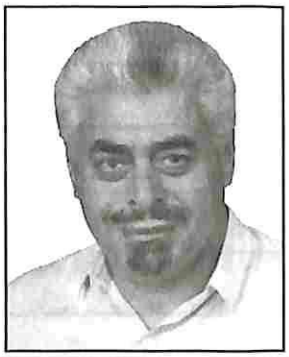

بقلم : د . خليل أبو ذياب
فلسطين

نشطت في هذه المرحلة الحاسمة من حياتنا الأدبية حركة تصحيح مسيرة الأدب وتوجيهه الوجهة الإسلامية المطلوبة والتي كانت أثرا واضحا من آثار الصحوة الإسلامية المباركة التي أخذت تتغلغل في صميم الحياة المعاصرة ، وتتدخل حينا بشكل مباشر ، وأحيانا بشكل غير مباشر في تشكيلها مجابهة كل العقبات التي تكتنف بها ، بل تستقطبها استقطابا يكاد يكون شاملا وعميقا. ومن هنا تجسدت نشاطات هذه الحركة فيما صدر من بحوث ودراسات تنظيرية وتطبيقية للأدب الإسلامي ، ودعوة نشطة واسعة إلى الاهتمام به وتأصيله .

وقد برزت في هذا الجانب آثار رابطة الأدب الإسلامي، وبذلت جهودا طيبة مشكورة عبر مختلف القنوات الإعلامية والعلمية مما هو معروف وظاهر.

وقد كان موضوع أدب الأطفال من أبرز الموضوعات التي عنيت بها هذه الرابطة، كما عني به نفر من الباحثين حرصوا على تأصيله وترسية قواعده وفق التصور الإسلامي.

ولعل هذه الدراسة التي بين أيدينا «قصص الأطفال: دراسة نقدية إسلامية» للأستاذ حبيب المطيري أحدث ثمرات هذه الرابطة - ورجالاتها - المباركة، وجهودها الكريمة في توجيه الدرس الأدبي في فرع من أهم فروع الإبداع، ويخص طبقة من أهم طبقات المجتمع وأجدرها بالاهتمام والعناية والرعاية، وهو قصص الأطفال، في محاولة جريئة وجادة لتصحيح مسار هذا الفن وفق المبادئ الدينية والأخلاق والقيم الإسلامية التي تهدف إلى نشر الحق والخير والجمال في المجتمع الإسلامي.

د. حبيب المطيري

كامل الكيلاني

وهذه الدراسة كما يخبرنا المؤلف جزء من دراسة علمية تقدم بها إلى كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي للحصول على درجة الماجستير، ولهذا الأمر أكثر من أهمية تتعلق بالإحاطة والشمول والاستقراء ووفرة المصادر والمراجع، ودقة المناقشة العلمية، وتكوين الشخصية البحثية، وعمق التنظير لهذا الفرع الإبداعي الموجه للطفل المسلم، فضلا عن توجيه المشرفين والإفادة من خبراتهم الواسعة مما تجسدت آثاره بوضوح وعمق في هذه الدراسة الرصينة الجادة. وجاءت هذه الدراسة المنشورة في تمهيد وثمانية فصول. وقد سلك المؤلف في دراسته منهجا لاحبا درج عليه في جميع فصوله حيث كان يفتتح كل فصل بما يتعلق به من التصور الإسلامي لموضوعه الذي يعالجه فيه من خلال سرد طائفة من النصوص الشرعية المقدسة: بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهو افتتاح طيب كريم يحقق المقاصد المبتغاة، ويساعد على إبراز المظاهر المختلفة في النماذج القصصية المدروسة. حتى إذا فرغ من هذا الجانب تحول إلى وجهة النظر الاجتماعية والنفسية يستقرئها ويتبين خصائصها وسماتها المتعلقة بالطفل، ليتحول من ثم إلى القصص المبدعة للطفل محللا وناقدا وموجها.. وبذلك استقام له المنهج العلمي الدقيق على طول دراسته على نحو ما سنتبين عند استعراض فصولها، وسنتناول هذه الدراسة من عدة زوايا تتعلق بالمنهج والمزايا والمآخذ.

الحاجة الملحة إلى قصص الأطفال

أما التمهيد فقد تناول فيه أهمية قصص الأطفال والحاجة الملحة إلى إبداعها مؤكدا أنها ظاهرة حضارية لما تحقق من احتياجات الأطفال في مراحلهم المختلفة وما يواكبها من نمو جسدي واجتماعي وإدراكي وعاطفي. وخطورة هذه المرحلة من مراحل حياة الأمة والمجتمع يفرض وجود قصص إسلامي صحيح هادف، ويتعين هذا الأمر من خلال إدراكنا للدور البالغ الذي تؤديه القصة في حياة الطفل وفكره ونفسه بما تقدم من مفاهيم وأفكار، وتصور من عواطف ومشاعر، تكسبه خبرات جديدة واسعة وتضاعف من ثقافته ومعارفه، وتصقل لغته وأسلوبه، فضلا عن توجيهها لسلوكه الديني والاجتماعي. كما تناول فيه نظرة الإسلام إلى قصص الأطفال، وهي نظرة تعد امتدادا لشمولية الإسلام واستقصائه لكل مظاهر وجود الإنسان في الكون، مستعرضا أطرافا من النصوص الشرعية في هذا الجانب، والدين الذي يحرص على صلاح المجتمع وتنقيته من كل المفاسد والشرور قمين بأن يجعل حرصه الأكبر موجها إلى الطفل بصفته النواة الأولى للمجتمع الانساني.

قصص الأطفال في الأدب المعاصر

وأما الفصل الأول فقد تناول فيه الباحث قصص الأطفال في الأدب المعاصر: أنواعها وموضوعاتها، ونراه يؤكد منذ البداية حفول المكتبة العربية بهذا اللون الإبداعي الموجه للطفل سواء أكان نتاجا عربيا أصيلا أم مترجما عن اللغات الأجنبية. كما يؤكد أنها ظاهرة اجتماعية وثقافية صحية لاهتمامها البالغ بهذه الشريحة من شرائح المجتمع، منوها بجهود نفر من الأدباء الذين انصبت عنايتهم على هذا الفن أمثال كامل كيلاني ومحمد الهراوي والأبراشي وحامد القصبي وأحمد نجيب وغيرهم ممن شكلت إبداعاتهم فصول هذه الدراسة، ثم مضى يعدد أنواع قصص الأطفال المعاصرة التي بلغت عنده واحدا وعشرين نوعا، فذكر أولا القصص المستوحاة من القرآن الكريم، ثم قصص الحديث النبوي فقصص السيرة النبوية المطهرة، فقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم مضى يعدد سائر أنواع القصص: التعليمية، وقصص الآداب والتربية، والتراجم، والقصص التاريخية والوطنية، وقصص الرحلات والحيوان، والقصص العالمية المبسطة، والقصص البوليسية، وقصص المغامرات والبطولة، والقصص الشعبية، وقصص السحر والجن والعفاريت، وقصص الخيال العلمي والفكاهة، وغير ذلك، ثم انصرف يعدد الموضوعات الرئيسة التي دارت عليها قصص الأطفال والتي بلغت عنده اثني عشر موضوعا تمثلت في « الالتزام بالدين، وانتصار الخير على الشر، والصداقة، والصديق، والأمانة، والوفاء، وحسن المعاملة، والبحث عن السعادة، والمال، والثروة، والشجاعة، والخوف، وعلو الهمة، والأمل، واليأس، والوطنية، والتعليم.

القضايا العقدية في قصص الأطفال

أما الفصل الثاني فقد قصره على موضوع القضايا العقدية في قصص الأطفال وقسمه إلى سبع وحدات تناول فيها الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، والخلق والكون وعالم الغيب: الملائكة والجن والشياطين والبعث والنبوات، والغاية من الحياة، ثم مضى مع كل وحدة يرصد مظاهرها في قصص الأطفال المطروحة في الساحة الثقافية العربية عبر المنهج البحثي الذي التزمه في فصول رسالته، ففي الوحدة الخاصة بالإيمان بالخالق سبحانه قدم الحديث عن تصور العقيدة الإسلامية لله الخالق جل وعز، وركائز الإيمان بوجوده بصفته فاطر السماوات والأرضين، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو وحده لا شريك له في ربوبيته لجميع العالمين، ساردا طرفا يسيرا من الآيات الكريمة التي تجسد هاتيك الصفات.. حتى إذا استوت له هذه القضية انبرى يرصد آثارها في قصص الأطفال ملاحظا خلو كثير من تلك القصص من أصول هذه العقيدة فيما عدا القصص الإسلامية التي ظهرت مؤخرا، بل إن القصص الغربية المترجمة اكتظت بطبيعة الحال بمظاهر شركية واضحة تصادم العقيدة الإسلامية لانتماءاتها النصرانية والوثنية. والباحث هنا إنما يرصدها لطرحها للطفل المسلم الذي يقرؤها ويتأثر بها مؤكدا أن هذه القصص تزخر بكثير من المخالفات الخطيرة لكون كتابها لا ينتمون إلى الإسلام ولا يؤمنون به فهم «نصارى، أو لا دين لهم ولا حياء ولا خشية »، وهنا يدعو إلى ضرورة الاهتمام بهذا الفن الأدبي الخطير وتوجيهه ليخدم العقيدة الإسلامية العظيمة.

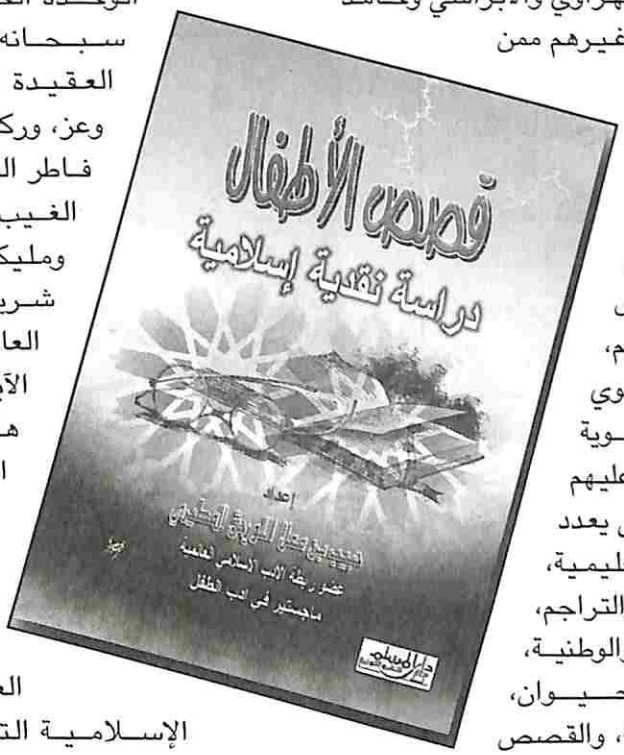

وفي موضوع «الخلق والتكوين» يسلك الباحث المنهج ذاته فيبتدئ بسرد بعض النصوص الإسلامية التي تجسد خلق الله لمختلف موجودات الكون منبها على ضرورة زرع عقيدة أو فكرة خلق الله لكل شيء في الوجود في نفوس الأطفال وعقولهم عبر هذا الفن الأدبي الذي يقدم لهم في هذه المرحلة المبكرة من تكوينهم، « فلا بد أن تشتمل القصة على ما يؤكد هذه المعاني العظيمة، وأن تخلو مما يخالفها أو مما يورد الشكوك إلى قلب الطفل من خلال عرض لقصص تناقض هذه الحقائق». ثم مضى الباحث يرصد ملامح هذه القضية في القصص المطروحة للطفل المسلم مؤكدا وجود « مخالفات عديدة تكثر في قصص السحر والشعوذة وفي قصص الخيال العلمي وفي قصص البطولات الفضائية والمغامرات المعتمدة على أجهزة متطورة»(ص٨١). حتى إذا انصرف إلى قضية «الكون» تقرى ذات المنهج فابتدأ بسرد بعض الآيات القرآنية التي تقرر صنع الله وخلقه للكون، مؤكدا تبعة القاص المسلم ومسؤوليته في إيداع قصصه التي يبدعها للأطفال هذه الفكرة وغيرها من أفكار العقيدة ومبادئ الإسلام لترسيخها في أذهانهم منذ هذه المرحلة المبكرة. بيد أن واقع القصص يشهد بانحرافات هائلة تفسد عقل الطفل وتدمر نفسه ومعتقداته بما ينشره عليه الكتاب من أساطير وخرافات يعزون إليها مظاهر الكون، فهذه «الأساطير والقصص الخيالية التي تبنى على فرضيات غير صحيحة تخالف العقيدة، وتزيل التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة من عقل الطفل، لتحل محله تصورات مضطربة بوجود قوى شريرة مهيمنة على الكون، أو بوضع تفسيرات غريبة لتبدلات الكون وتقلباته دون نسبتها إلى الله عز وجل »(ص٩٠).

وتطبيقا لهذه الفكرة التقط نموذجا من قصص الأطفال يؤكد وجود حيوات في كثير من الكواكب غير الأرض، ووجود قوى شريرة مدمرة فيها تسعى إلى السيطرة على الكون، ثم مضى يرصد ملامح أخرى من عالم الغيب في قصص الأطفال من الحديث عن الملائكة ووصفهم بما وصفوا به في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيما عدا بعض القصص التي تحدثت عن انتصارات المسلمين في بدر والأحزاب لارتباطهما بهذا الأمر، أما سائر القصص التي أشارت إليهم فإنها لم تحسن تصورهم، حيث جعلتهم حينا حوريات إناثا، وحينا غلاظا شدادا كريهي المنظر، كأنهم زبانية الجحيم، وطورا صوروا في صورة طفل أبيض الجسد واللباس محاطا بهالة من نور يقوم بحماية الأطفال ذوي الخلق الرفيع من كل مكروه. وكلها صور ضحلة ناقصة مناقضة للتصور الإسلامي للملائكة. وأما الجن والشياطين فقد امتازت بظهور واضح في كثير من قصص الأطفال التي صورتهم في أشكال مخيفة مرعبة، وجعلتهم مردة وعمالقة ذوي هيئات مفزعة وعيون حمر تتلظى بالشرر، وقلوب قاسية لا تعرف الرحمة يكيدون لأبطال القصص ويحرصون على إنزال الأذى بهم وتدميرهم، وحينا آخر تصورهم نساء جنيات ساحرات قبيحات الوجوه منكرات الأعمال، يحرصن على محاربة الأخيار ووضع العراقيل في وجوههم. ويلاحظ الباحث مناهج القصاص في توظيف الجن في إبداعاتهم القصصية للأطفال وما يسودها من اضطراب وخلط، ومخالفة للنصوص الدينية الصريحة كأن ينفي أحدهم وجود الجن رغبة في طمأنة الأطفال ونزع الخوف من

نفوسهم، أو زعم بعضهم وجود جن محبوسين في قماقم منذ عهد سليمان عليه السلام، وكإظهار مقدرة الجن فوق مقدرتهم الحقيقية» (ص١٠٧).

ومن جوانب هذا الفصل ما يتعلق بالمستقبل ومعرفة الغيب المحجوب عن البشر بوساطة العرافين والمنجمين والكهان ومن لف لفهم، وهو مظهر شائع في قصص الأطفال ينبغي أن يتنبه له دعاة الأدب الإسلامي لينقوا الأدب من آثاره، ولتكريس فكرة علم الغيب لله وحده. ومن تلك الجوانب ما يتعلق بمصير الكون، وهي مشكلة متعددة الاحتمالات التي قد يصدق بعضها وقد لا يصدق شيء منها، لأنها جزء من عالم الغيب الذي احتفظ الله وحده بعلمه، وكل ما ورد ضروب من الخيال الذي داعب خيالات القصاص وأرادوا توصيله إلى أذهان الأطفال وغيرهم، وهنا يتجلى دور الأدب الإسلامي في حماية الطفل من كل هذه الأوهام والخيالات بتكريس تصور الإسلام لليوم الآخر / يوم القيامة الذي ينهي الحياة الدنيا على الأرض. ثم كان « البعث» آخر قضايا وموضوعات هذا الفصل الثاني، والإيمان به هدف ديني ينبغي تكريسه في أذهان الأطفال فيما يكتب من قصص واع هادف، « ولكن واقع القصة المكتوبة للطفل في الأدب العربي لا يتمثل هذه القيمة حق التمثل، ولذلك يجد القارئ لها إغفالا غريبا للبعث ولأهميته في مبدأ العقاب والثواب للطفل». وينقد الباحث خلو تلك القصص من هذا المضمون وإحلال مضامين اجتماعية وإنسانية محله لتحقيق الجزاء والثواب والعقاب، وهذا أمر ينبغي أن يعنى به دعاة التيار الإسلامي في الأدب عامة وأدب الطفولة خاصة، وكذلك المؤسسات التربوية والتعليمية التي تشرف على هذا القطاع من المجتمع.

وفي قسم «النبوات» وجد الباحث كما كبيرا من القصص الإسلامي الذي يسرد سير بعض الأنبياء، وإن أخذ عليها رواية بعض الإسرائيليات، وأما القصص العامة الأخرى فقد خلت من آثار الأنبياء وأخبارهم وسيرهم. كما تناول موضوعا آخر يدور حول الغاية من الحياة ووجد غالبية قصص الأطفال تغفل هذا الأمر موجهة تفكيرهم إلى غايات دنيوية محضة لا ترتبط بأدنى رابطة بالحياة الأخرى الخالدة وفقا للتصور الإسلامي.

مظاهر السلوك الخلقي في قصص الأطفال

أما الفصل الثالث فقد وقفه على مظاهر السلوك الخلقي في قصص الأطفال، وجاءت هذه المظاهر متمثلة في«الاستقامة والانحراف والحب والبغض والرضا والغضب والعفو والانتقام والغبطة والحسد والتسامح والمؤاخذة والتواضع والكبر والأنانية والإيثار، ونراه في كل موضوع من هذه الموضوعات يحرص على كشف مظاهر السلوك الخلقي كما تمثله القصص المطروحة للطفل، ففي جانب الاستقامة والانحراف يكشف عن أهمية التكوين الخلقي لسلوك الطفل وفق المفاهيم الإسلامية، ثم مضى يرصد مظاهر هذا السلوك في قصص الأطفال حيث وجد طائفة من تلك القصص تتمثل السلوك القيم وترصد الجانب السيئ في سلوك الناس وتدعو إلى تجنبه، ولكن الباحث يأخذ على هذا الضرب من القصص الخلقية عدم تحديد المفهوم الحقيقي للاستقامة من مثل «إظهار العباد النصارى بمظهر المستقيمين، وتبرير كثير من أعمال اللصوصية والإجرام بدعوى حماية الفقراء وضعاف الناس.. وهو يحكم على ذلك من منظور الإسلام الذي يرفض مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة»، وهذا أمر مرفوض في المجتمع الإسلامي وإن كان مقبولا في مجتمعات غير إسلامية حيث تكون نصرة الضعفاء والفقراء واجبا اجتماعيا وإنسانيا، علي نحو ما كان بعض الصعاليك في المجتمع الجاهلي، حيث كان عروة بن الورد الملقب بأبي الصعاليك، يرود منهجا إنسانيا في حماية الفقراء وضعاف الناس من بطش الأغنياء البخلاء خاصة، بيد أن هذا السلوك كائنة ما تكون مقاصده لا يجوز في مجتمع إسلامي يكفل حقوق الضعفاء والفقراء ويمنع استغلال الأغنياء والأقوياء لهم! وهذا أمر يجدر بكتاب قصص الأطفال التركيز عليه وإبرازه في إبداعاتهم.

وفي موضوع الحب والبغض حاول تقصي مظاهره وآثاره في قصص الأطفال، وإن قرر بداءة من منظوره الإسلامي ضرورة انبثاقهما من عقيدة الولاء والبراء الإسلامية محاولا تطبيقها على ما بين يديه من قصص مؤكدا انحرافها عن المنهج الإسلامي، ومن أبرز الأمور التي يلتفت إليها الباحث في هذا الجانب ويعده

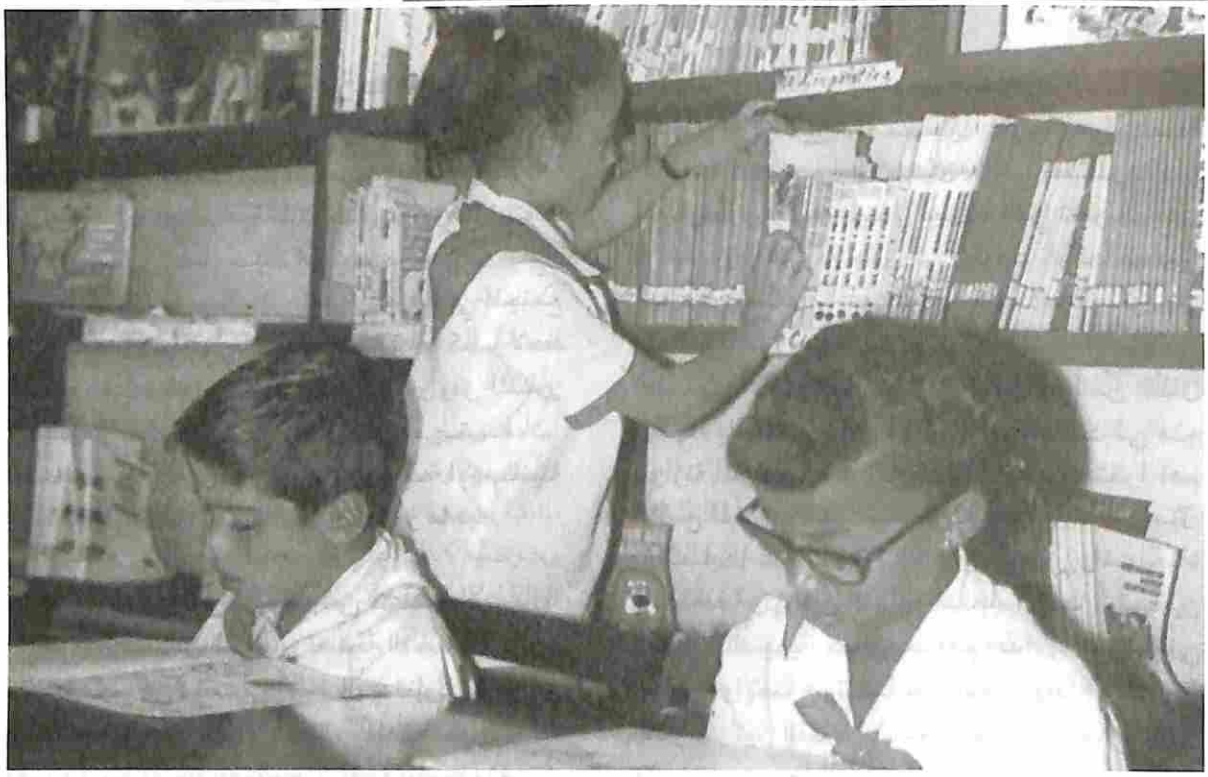

«الانحراف الأكبر» ما يتصل بظاهرة الحب العاطفي بين الجنسين الذي لا تخلو منه قصة سواء أكان بطلها كبيرا أم صبيا صغيرا، مؤكدا أن هذا الحب مخالفة شرعية وعلاقة محرمة تهدف إلى انحراف الأطفال عن أهدافهم السامية.. وفي معالجته موضوع الرضا والغضب في قصص الأطفال كان حريصا على ربطه بالمفاهيم الإسلامية حتى لو كانت القصص غير إسلامية، وكأنه يريد من الكتاب أو المترجمين لتلك القصص أن يراعوا هذا الجانب ليضعوا بين أيدي الأطفال ما ينفعهم ويكون سلوكهم الاجتماعي الصحيح.. وفي موضوع العفو والانتقام يلاحظ ظهوره في قصص الأطفال بشكل لافت، وقد عرض بعض النماذج التي تجسده، وهي نماذج تؤكد دور القصة الإسلامية واقتدارها على تكريس مثل هذه القيم السلوكية بصورة جيدة ورائعة، وإن لوحظ أن الباحث لم يقف عند كثير من القصص الإسلامية التي تمثل هذه الخليقة التي لا يخلو منها مجتمع أو بيئة لما تقدمه من تهذيب خلقي للطفل المسلم.. ويمضي الباحث مع هذه القيم السلوكية مستعرضا آثارها في قصص الأطفال محاولا توجيهها وفق التصور الإسلامي لتحقيق الغايات المرجوة منها في تربية الطفل المسلم. وهكذا تحاول الدراسة جاهدة تصحيح مفاهيم القصص المقدمة للطفل المسلم وتنقية مضامينها من كل مظاهر الانحراف والفساد لتستقيم مع المفهوم الإسلامي الصحيح.

العلاقات الاجتماعية في قصص الأطفال

أما الفصل الرابع فقد قصره على العلاقات الاجتماعية في قصص الأطفال مستعرضا مظاهرها مع كل من الوالدين والإخوة والأقارب والأصحاب والمسلمين وغير المسلمين مبتدئا بالعلاقة الرئيسة مع الأبوين التي تعد أهم الأسس في تنشئة الطفل وتحقيق شخصيته الاجتماعية لممارسة دوره الطبيعي في الحياة، ويحرص الباحث على رصد هذه العلاقة من المنظور الإسلامي القويم وما يحققه للنظام الاجتماعي من استقرار لا تحققه سائر النظم الاجتماعية الوضعية، ومن هنا وجدنا الباحث يلح على ضرورة بروز هذا الجانب في قصص الأطفال سواء منها ما يعرَّب وما يؤلف بالعربية، وهذا أمر جدير بدعاة الأدب الإسلامي أن يعنوا به فضل عناية وأن يجعلوه من أولويات مشاريعهم التصحيحية للأدب..

كذلك أفرد قسما للكشف عن علاقة الطفل بإخوته كما صورتها قصص الأطفال مبينا ما ينبغي أن تكون عليه في ضوء التصور الإسلامي، ناقدا ما يصادمه من سلوكيات اجتماعية ظالمة منحرفة.. وهكذا تتالت أقسام هذا الفصل حيث استعرض علاقة الطفل بأقاربه وبرفاقه وبسائر المسلمين وغيرهم في المجتمع الذي يعيش فيه.. ومثل هذه العلاقات كما لاحظ الباحث في قصص الأطفال لا تصور وفق المنظور الإسلامي الذي ينبغي التزامه في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، بل من الوجهة الإنسانية الاجتماعية البحتة، وفي ذلك من القصور ما فيه.

القضايا التربوية والنفسية في قصص الأطفال

ثم أقام الفصل الخامس لمعالجة القضايا التربوية والنفسية في قصص الأطفال متناولا عددا من القضايا المهمة تدور حول صقل مواهب الطفل وتنمية قدراته وتوجيه طاقاته وتحقيق ثقته بنفسه وتعويده على مواجهة الصعاب ونفي الخوف من نفسه وتنمية خياله.. وقد استعرض على عادته كثيرا من القصص التي تتناول هذه المظاهر التربوية والنفسية ناقدا وموجها وداعيا إلى ضرورة التزام المنهج الإسلامي في هذه القصص..

إبراز الأثر الفكري في قصص الأطفال

ثم أفرد الفصل السادس لإبراز الأثر الفكري في قصص الأطفال وما توفره من معارف إسلامية وعلمية وعامة من خلال عرض طائفة من القصص التي تحقق تلك المعارف كاشفا عن دورها في حياة الطفل وعقله.. ويلاحظ الباحث أن إسهام الأدب الإسلامي في تأصيل المعرفة الإسلامية في وجدان الطفل وعقله محدود جدا بالرغم من الدور الذي تؤديه قصة الطفل، ويعزو ذلك إلى قلة تمثل الأدباء لهذه المعارف الإسلامية لنقلها إلى قصص الأطفال.

موازنة بين قصص الطفل العربية والمترجمة

أما الفصل السابع فقد أقامه للموازنة بين قصص الطفل العربية والمترجمة من حيث الأهداف والمعاني والأفكار والأسلوب والإخراج والنشر، وقد حصر الموازنة بين مجموعتين: عربية هي سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال » التي تصدرها دار المعارف، وسلسلة «ليدي بيرد» التي تعربها عن الإنجليزية مكتبة لبنان في بيروت.. وقد مضى الباحث يرصد ما ذهبت إليه كلتا السلسلتين من أهداف، ناقدا وموجها في ضوء المنهج الإسلامي الصحيح الذي يتغيا مصلحة البشر بدءاً من الطفل وانتهاء بالمجتمع، وأهم ما يمتاز به الباحث في هذه الموازنة المنهج الدقيق الذي سلكه حيث استقرأ أهم الملامح المشتركة في قصص كل مجموعة من مثل اعتمادها على الخرافات والأساطير والمفاجأة والمصادفة وتكريس النهاية السعيدة للبطل وتحقيق السعادة الدنيوية، كما رصد أهم أهدافها المتمثلة في التسلية والإمتاع وتنمية حب الخير وبذله ومحاربة الشر وتركيز القدوة الحسنة وتحقيق الثقة بالنفس على تفاوت محمود بين المجموعتين.. وفي جانب الأفكار والمعاني رصد أبرز تلك الأفكار التي تناولتها كل مجموعة مقررا تميز المجموعة المعرَّبة بالعمق ودقة الملاءمة لواقع الطفل من رصيفتها العربية، كما حاول رصد أبعاد الأسلوب بين المجموعتين مؤكدا مرة أخرى تفوق المجموعة المعرَّبة في المظاهر

الأسلوبية: سلاسة العبارة وسلامة الألفاظ والتناسب في طريقة العرض وتعاقب الأحداث وواقعيتها وواقعية الأبطال أو انتمائهم إلى واقع الطفل وحياته.. وإذا تفوقت المجموعة المعرَّبة في هذه الجوانب اللصيقة باللغة العربية، فتفوقها في مظاهر الإخراج ووسائل النشر أكبر وأروع بطبيعة الحال..

أبعاد الأدب الإسلامي في أدب الأطفال

ثم كان الفصل الأخير «الثامن» من فصول دراسته الذي وقفه على تصور أبعاد المنهج الإسلامي في أدب الأطفال الذي ينبغي أن يسود بيئة الطفل ومجتمعه، وهذه الأبعاد تقوم على المضمون والشكل والإخراج والنشر وهي المظاهر التي أدار عليها موازنته السابقة بين المجموعتين العربية والمعربة.. وهو ينطلق في هذا الفصل من القناعة بضرورة الحاجة إلى تأصيل المنهج الإسلامي المتكامل للأدب عامة وأدب الأطفال خاصة، ملمحا إلى بعض الجهود الخيرة في هذا المجال نظرا لما يحاصر الطفل من تيارات منحرفة ضالة وضرورة إنقاذه من عقابيلها الفاتكة، ونشر القيم الإسلامية الرفيعة وزرعها في نفس الطفل ووجدانه وعقله.. وقد مضى الباحث يؤصل لهذا المنهج الإسلامي عبر القنوات التي أشار إليها وهي المضمون الذي ذهب إلى ضرورة ارتباطه بالتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، وخلوه من كل ما يخالف ذلك حرصا على ملاءمته لعقل الطفل ومشاعره وخياله وفطرته ومراحل نموه وتطوره.. وقد حرص على أن يضع بين أيدي الأدباء قائمة طويلة من الموضوعات التي يمكن أن يقوم عليها أدب الطفل عامة والقصص خاصة سواء منه ما يتعلق بالعقيدة وبالقيم الخلقية والعلاقات الاجتماعية والنفسية وغيرها، هادفا من وراء ذلك إلى أن تشغل بال الأديب الكاتب ومحاولة إيصالها بأي وسيلة.. وأما الشكل فيؤكد أهميته في أدب الطفل سواء منه ما يقوم على اللفظة المفردة والعبارة والأسلوب وما ينبغي أن يتوافر لها من سلامة ودقة وانتقاء للأفصح منها، وما يتصل بالإخراج والنشر لأثرهما البالغ في جذب الطفل.. ويأخذ الباحث هنا على طائفة من الأدباء ذوي النزعة الإسلامية اهتمامهم البالغ أو الأكثر بالمضمون على حساب الشكل ظنا منهم أن الفكرة هي الأساس الأهم في هذا الإبداع، مؤكدا ضرورة الاهتمام بالصورة المتكاملة للأدب الإسلامي مضمونا وشكلا وإخراجا.

امتازت هذه الدراسة بكثير من المزايا التي لا سبيل إلى الإحاطة بها في مثل هذه العجالة مما يضطرنا إلى الإشارة إلى طرف منها من مثل وفرة المصادر والمراجع التي استعان بها في تشكيل مادتها الأساسية وتنوعها ، وكذلك حرصه البالغ على تحليل طائفة واسعة من القصص التي أقام عليها الدراسة ، وحرصه كذلك على الإحصائيات التي تفضي إلى النتائج المناسبة، فضلا عن المناقشة الجادة الحصيفة للآراء والقضايا المتنوعة والحرص على توجيه الأدباء والكتاب إلى ضرورة التزام المنهج أو التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة في إبداعهم الأدبي عامة وقصص الأطفال خاصة كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

وكان منهجه يقوم على العرض والنقد والمناقشة والتحليل والتوجيه وهي الأصول التي يقوم عليها المنهج العلمي الدقيق.

ومن المظاهر المهمة التي امتازت بها الدراسة حرص الباحث على التنبيه كلما وجد إلى ذلك سبيلا على ضعف المستوى الفني لقصص الأطفال وضحالة جمالياتها.

ولكن برغم تلك المزايا فثمة هنات يسيرة تساقطت بين حين وآخر في أثنائها وهي محدودة لا تطعن في قيمة هذه الدراسة ولا تعدو أن تكون في أغلبها وجهات نظر لا تملك إسقاط غيرها مثل : اعتباره كل القصص المطروحة في الساحة العربية للطفل ذات منهج إسلامي أو يجب أن تلتزم بالمنهج الإسلامي، وواضح أن محاكمتها في ضوء المنهج الإسلامي غير عادلة لانتماء الكثير منها إلى بيئات فكرية واجتماعية مخالفة للبيئة الإسلامية ، وكان ينبغي له أن يفرق بين القصص الإسلامية والقصص غير الإسلامية في الدراسة (روبن هود ، وسوبرمان ، والرجل الوطواط ... إلخ). ■